



رئيس ... !

عدت إلى منظاري فوضعت على أني وقد أزلت عنه ما علق به من الغبار والنداء؛ وما زال لهذا المنظار سحره العجيب . فهو يربني من دنيا الناس ما لا تربني العين المجردة ؛ فلولاة مثلا ما استوقف بصرى هذا الذى أحدثك عنه ، والذى أنيف إليه لقب الرياسة العظيم ، وما هو من ذوى الحياء ولا العظمة ، إذ ما زاد على أنه كبير الخدم بالمدرسة التوفيقية الثانوية .

وأنا يا قارئ العزيز رجل بسيط ، فقد لا أرى شيئا من العظمة ولا من الرياسة في بعض من تواضع الناس على أهم عظماء ورؤساء ، وقد أرى للعظمة كل العظمة والرياسة كأحسن ما تكون الرياسة في رجل كالذى أحدثك عنه . ولست بالضرورة أدعوك إلى أن ترى ما أرى ، فأنت وشأنك ، وإنما أدعوك لأن تقرأ هذا في غير سخرية منى ...

إن « عم أحمد حسين » كما يسميه الطلاب « والرئيس أحمد المهدة » كما يدعوه زملاؤه ، أو على الأصح مرؤوسوه ، هو رجل يربني منظاري من خلقه وسمته ما يحملني على أن أرى فيه رئيساً بل ورئيسياً محبوباً إن أردت الحق .

أول ما جيبه إلى وقاره إذا تكلم أو مشى ؛ ووفرة شعوره بشخصيته . والألفة من كان في مثل موضعه تحمل على الإعجاب والمحبة ؛ فكم نسى الألفة كثيرون هم أرفع درجات منه بحكم العمل . وليس في أفتة شيء مما يرى في غيره من ذوى الرياضات من صلف أو غرور ، وإنما هي الكرامة تلمحها في وجه « عم أحمد حسين » حين يأمر في صلف أو ينهر في غير موجب ، فقرأ عندئذ يرشق أسرته أو ناهره بنظرة نائرة فيها التمرد الصامت ، والعتاب الذى يشبه الأزدراء ، وبين يديه ثمانية وثلاثون عاما قضاها بين جدران ذلك المعهد العتيق . فثله ليس بالشخص الذى يرهب سلطان متسلط وقد درج تحت بصره في هذا المعهد مئات من رجالات هذا البلد فما أساء إليه أحد بكلمة .

وحبه إلى كذلك حيويته ودأبه وإخلاصه في عمله وعظيم تأثيره في مرؤوسيه وقد عدت به السن ؛ فما تدور بينيك في ركن

من أركان الدار الاطالعك منه « عم أحمد » في جلابه الجيد النظيف وقد تجعد شعر فوديه الأبيض تحت طربوشه القاتم الطويل يدفعه دأماً إلى الخلف قليلاً بحيث تتدلى ضبوطه فوق أذنه اليمنى ، وكأخاً يكبه هذا الوضع نهاية إلى جانب ما يكسه منها شعره الأبيض وطول أعوام خدمته ، أو هكذا خيّل إلى منظاري ... ويعجبني منه ذكاؤه وسرعة خاطره وخفة روحه ، فهو سريع الفطنة إلى ما يسرك من ألوان الحديث وكيفية الخطاب ، فيحدثك وهو ينظر بعينه اللامعتين إذ تسمع ، فإن لمح أثر ارتياحك على محياك استترسل ، وإن آنس فيه كدرة أدار الحديث في لباقة وسرعة حتى يقع على ما يحب .

وأجل حديثه ما كان عن تاريخ المدرسة وتلاميذها القدماء . فيسمعك أسماءهم كما كانت تسمع في فناء الدار ، خالية من ألقاب العزة والسعادة والمال وما إليها ، وكأنه يريد أن يلقى في روع طلاب اليوم أن هؤلاء كانوا بالأمر مثل ما هم عليه الآن ، وهو يحياهم يحبه الطلاب . ومن يدري فلفل فيهم من يعمل في غد أكبر الألقاب ، أو من يستغنى بناهه اسمه عن جميع الألقاب .

على أن أكرم خلال ذلك الرئيس هي وقاؤه لكل من يعمل معهم ، وغيرته على سمعة ذلك المعهد الذى يعمل فيه ، وإن جميع من عرفوه ليلسسون فيه هذا الوفاء .

وإذا شئت ليلعب على وفاء هذا الرجل ، فاعلم أنه يرسل كل عام في عيد الميلاد خطاباً إلى مستر اليوت^(١) بأجلته ؛ ومستر اليوت هذا كان ناظراً للمدرسة التوفيقية منذ ربع قرن ، وهو لا يملك له اليوم ضميراً ولا نقماً ، ولذلك فوفاؤه لا تعلق به شائبة من تلك الشوائب التى قلما خلا منها « وفاء » في هذه الأيام ، وقل في الناس من يوادك الالفة .

أرأيت منى أن « عم حسين » خليق بأن يدعى الرئيس . وبأن رياسته خليقة بأن يحب ؟ إن كنت في ريب من هذا فأخطر ببالك من تطمئن إلى الاعتراف لهم بالرياسة ، وانظر إن كنت تجد فرقا بينه وبينهم ، ومرد الأمر فيما تحكم إلى ذمتك ، أما أنا فقلت أشك في أنه أكرم عندي من كثيرين ، وإذا كان هذا الخطاب الذى أشير إليه دليلاً على ديمقراطية الناظر القديم . فإن فيه لك شهادة على أن كبير الخدم أحمد حسين جدير بأن يذكره وبأن يحب .

الحنيف

(١) محمد زدمستر إليوت عليه هذا العام عزياً في البريد الأديني